من نفحات

سورة الفاتحة وأسرارها

بقلم المربي

الدكتور محمد خير فاطمة

٢

الإهداء

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣
مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ
٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

- فقد رغبت إدارة مركز قيم في مسجد مصطفى لالاباشا أن تستضيفني في يوم الجمعة في الأسبوع الثالث من شهر رمضان المبارك ١٤٣٩هـ لإلقاء محاضرة في قاعة المحاضرات في مركزها، وسألوني عن عنوان هذه المحاضرة فأسرعت وقلت:

[من نفحات سورة الفاتحة وأسرارها]

- ولما أردت التحضير لهذه المحاضرة وجدت نفسي بعد مراجعة المراجع والمصادر في هذا الموضوع أنني أحتاج إلى كتابة كتاب كامل لا محاضرة لمدة ساعة، لما في نفحات سورة الفاتحة وأسرارها من معلومات غزيرة، ومعانٍ عظيمة، ونفحات قيمة.

- ولما جاء الموعد المحدد وألقيت القسم الأول من المحاضرة، وفتح الله عليّ بما فتح، وتفاعل الحضور مع

معاني المحاضرة تفاعلاً كبيراً، وأكدوا لي ضرورة إلقاء القسم الثاني منها، لمتابعة معاني نفحات سورة الفاتحة وأسرارها العظيمة لما لها من الأهمية الكبرى في فهم المؤمن لهذه النفحات والأسرار، ولما لها من أثر كبير في الخشوع في الصلاة وغيرها عند قراءتها.

- فكان كل ذلك دافعاً لي للسعي لطباعة هذه المحاضرة، والعمل على توزيعها ونشرها بين أكبر شريحة مسلمة ليتم النفع من تلك النفحات والأسرار.

- راجياً من الله القبول وممن يستفيد من هذا الكتاب الدعاء.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة التوبة: ١٠٥).

البيان

- للحديث في موضوع هذه المحاضرة يحتاج إلى بحثين:

أما **البحث الأول**: فهو من نفحات سورة الفاتحة وأسرارها مجملاً.

والبحث الثاني: فهو وقفات مع نفحات وأسرار كلمات سورة الفاتحة ومعانيها.

البحث الأول: نفحات سورة الفاتحة وأسرارها مجملاً.

- قبل أن نبدأ البحث لا بد من معرفة معنى النفحات؟

هناك حديث للنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ نَفَحَاتٌ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ فَلا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَداً**». (أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط)

- من هذا الحديث نفهم أن معنى النفحة هو المنحة الإلهية، والعطية الربانية، والهدية الخاصة من الله عز وجل لبعض عباده الذين يتعرضون لأوقات هذه النفحة، ويسعون لها، ويعملون على مقتضاها.

ولهذه النفحات أوقات كليلة النصف من شعبان، أو ليلة القدر أو ساعة الإجابة من يوم الجمعة، كما أن هذه النفحات قد تكون في قراءة سورة معينة من القرآن الكريم، أو ورد نبوي خاص بها أو لقاء في مجالس العلماء والصالحين، أو مجالس الذكر والقرآن الكريم، أو خصوصية لبعض عباده يخرجهم بها من الظلمات إلى النور.

- فنفحات الله منها ما هو عام لمن يتعرض لها، ومنها ما هو خاص يخص بها الله بعض عباده فضلاً منه ومنة وعطاء.

- من هذه النفحة الخاصة ما خص الله به سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ الذي كان يريد قتل النبي ﷺ فساقه الله إلى أخته وكان في أشد الغضب لعلمه بإسلامها وقد عبر عن غضبه بأن ضربها فأدماها، وهنا جاءت النفحة الإلهية، بأن سكن روعه وغضبه، فطلب من أخته أن يطلع على ما سمع من القرآن، وامتثل إلى طلب أخته في أن يتطهر قبل أن يقرأ، فتطهر وقرأ من

أوائل سورة طه ما هيأ الله له من أنوارها التي دخلت إلى سويداء قلبه، وأثرت به وأبدلته من حال إلى حال، وطلب الإسراع بمقابلة رسول الله ﷺ ليعلن في دار الأرقم إسلامه وليطلب من النبي ﷺ والصحابة الكرام الخروج بالإسلام من السرية إلى الجهرية، فطاف بهم في الكعبة مرفوع الرأس ينظر إلى قريش مهدداً لهم، وهم في أشد الغرابة مما يرون، ولجموا حتى أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً إلا أن ينظر بعضهم إلى بعض، دون أن يتفوه أحدهم بكلمة، فأعز الله الإسلام بعمر ونال اسم الفاروق، لأنه فرق بين الحق والباطل، وما ذلك إلا من وراء تلك النفحة الإلهية الربانية الخاصة به (نفحة لا يشقى بعدها أبداً).

- ومثل هذه النفحة حدثت مع الكثيرين من الناس فكانت هذه النفحة سبباً في نقلهم من الضلالة إلى الهدى، ومن الشر إلى الخير، ومن النفاق إلى الإيمان، ومن الجهالة إلى الهداية والولاية.

- وكم جاءت هذه النفحة عند سماع الكثيرين من البعيدين عن الله آية من القرآن، قلبتهم رأساً على عقب فأصبحوا من أهل العلم والعرفان.

من مثل قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

- من هؤلاء الفضيل بن عياض فبعد أن كان يتعرض للمسافرين في سفرهم لغصب ممتلكاهم وهو المشهور باللصوصية والإجرام والقتل والسلب، وجاءت لحظة النفحة الإلهية إليه من وراء سماعه لهذه الآية فانقلب مما كان عليه إلى أن أصبح ولياً من أولياء الله وعالماً من علماء المسلمين، وتقياً من أتقيائهم يضرب به المثل ويشار إليه بالبنان.

- ومثل ذلك ما حدث مع مالك بن دينار الذي عرف عنه المجون والسوء والشر الشيء الكثير فجاءته

هذه النفحة الخاصة من وراء منام رآه بعد حزنه الشديد على موت طفلته الصغيرة فانقلب أيضاً إلى ولي من أولياء الله وتقي من أتقيائه انتفع المسلمون بأقواله وحكمه ونصائحه.

- ومثل هذه الأمثلة كثيرة قد نسمع عنها أو يجدها المسلم في نفسه فالصُلحة مع الله بلمحة من نفحاته تقلب الشارد المبتعد عن الله إلى مؤمن صادق تقي ورع عارف ولي.

فما أعظم نفحاتك يا رب اللهم عمّنا بها حتى لا نشقى بعدها أبداً.

هذا زمان الصلح ما أقعدك
عن باب مَنْ للخير قد عوّدك
فإن محوت اليوم ما سطرت
أيدي خطاياك فما أسعدك

- وهناك أيضاً حالات خاصة لبعض المؤمنين في بعض حالاتهم يكرمهم الله بنفحة منه دون استحقاق منهم تزيل آلامهم وتحقق أمانيهم.

- مؤمن بلغ به المرض مبلغاً شديداً واشتدت عليه آلامه فيما يخصه أو يخص أحد أفراد أسرته وسعى هنا وهناك إلى أشهر الأطباء، وفي خضم دوامته هذه وفي لحظة من لحظات صلاته بين يدي ربه، اتجهت أساريره إلى صفاء قلبه فإذا بلسانه يفيض ودموعه تنهمر متذكراً قوله سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل: ٦٢).

مناجياً ربه ... يا رب ... - يا رب ...- يا رب ... اعتمادي عليك وتوكلي عليك وأنت العليم بحالي أرجوك ساعدني في أمري وتولني بعنايتك، واشفني واشفِ مريضي.

هذه الحالة هي منحة من الله عز وجل جذبت هذا العبد فتوجه إلى ربه توجهاً خالصاً لله عز وجل ليجد بعدها الشفاء والسرور والحبور.

مؤمنٌ ألمت به مصيبة وأي مصيبة أذهلت عقله وشتت نفسه وحطمت قلبه فما يدري ما يفعل اتجه يميناً ويساراً فوجد أن جميع الأبواب مغلقة في وجهه.

استيقظ في ليلة وقد وجد في نفسه رغبة في قيامه للتهجد فتوضأ وصلى وفي سجوده نسي وجوده وشعر بقربه من ربه وتذكر أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، اشتد بكاؤه حتى النحيب، وارتفع صوته بكامل إخلاصه أن يا رب... لا يزيل عني ما أصابني إلا أنت عليك اعتمادي وإليك مآبي ولك دعائي فداوِ جراحي وأزل همي وغمي واحلل عقدي وما حل بي.

مردداً قول الشاعر:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم

يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

- كل هذه العواطف والمشاعر هي منحة من الله عز وجل لهذا المؤمن لتكون سبباً في رفع ودفع ما أهمه وأغمه وإبدال كل ذلك بفرج وفرح وسرور وحبور.

- مؤمن اشتد عليه الحال وقلَّ رزقه، واحتاج للمال من أجل ما يواجهه في هذه الحياة من مطالب كثيرة متنوعة، وما وجد بين يديه ما يسد حاجته، فضاق صدره وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، وما يدري ما يفعل وهو العصامي الذي لا يمد يده إلى أحد، فاحتار في أمره وما يفعله، وفي جلسة بين يدي شيخه ومربيه وفي أثناء درسه ووعظه وإرشاداته وتوجيهاته ووصاياه وقصصه التربوية وجد نفسه يضع خده على يده وتذهب مشاعره نحو ربه، وقد فاضت عيناه فتحدث قلبه مع ربه أن يا رب أنت مالك الملك وأنت العليم بحالي فحسبي من سؤالي علمك بحالي، فتغيرت مشاعره وعواطفه وعاد للاستماع إلى شيخه وما يفيض الله عليه، ومع انتهاء المجلس هيأ الله له من أسباب المال ما يسد كل حاجاته ويزيد على ذلك.

- هذه الحالة هي منحة من الله لهذا العبد.

- وكل ما يحدث مع المؤمن في جميع مراحل حياته أمثال هذه المواقف كلها منح من الله عز وجل وعطاياه لهذا المؤمن فضلاً منه وكرماً.

البحث الأول

ماذا نقصد من نفحات سورة الفاتحة وأسرارها؟

- سورة الفاتحة لها نفحات ربانية خاصة لمن يؤمن بها، ويتعامل معها، وقد يسمي بعض الصالحين هذه النفحات بأسرار سورة الفاتحة، والمقصود بالأسرار أي الخصائص والميزات التي تحتويها سورة الفاتحة وتتميز بها عن غيرها من السور، فبعد الدعاء العام أو طلب الشفاء أو السقيا، أو النجاح أو الفرج أو النصر أو غير ذلك، يقولون:

اللهم استجب دعاءنا بأسرار سورة الفاتحة.

فما هي هذه النفحات أو الأسرار لسورة الفاتحة؟

هي متعددة الجوانب، كثيرة المظاهر نذكر بعضها:

أولاً: هي أول سورة من القرآن الكريم نزلت كاملة.

فأول آيات نزلت على سيدنا محمد ﷺ - وهو في غار حراء يتحنث - آيات من سورة العلق (اقرأ).

ولكن أول سورة كاملة نزلت على سيدنا محمد ﷺ هي سورة الفاتحة.

ثانياً: هي أول سورة في القرآن الكريم من حيث الترتيب، فشرفها الله عز وجل بأن افتتح بها القرآن الكريم.

ثالثاً: سماها الله عز وجل المثاني وخصها بأن ذكرها ذكراً خاصاً، مع ذكر القرآن الكريم فقال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾

(الحجر: ٨٧)

وهو عطف عام وهو القرآن على خاص وهو الفاتحة.

فالفاتحة وإن هي من القرآن وأول سورة فيه، لكن الله عز وجل خصها بذكر خاص.

والمثاني جمع مثنى من التثنية، وهي تعني هنا التكرار والإعادة فهي تكرر وتعاد في كل ركعة من ركعات الصلاة وعدد آياتها سبع مع البسملة، كما أنها تقرأ وتكرر بعد الدعاء وغيره.

رابعاً: من نفحات سورة الفاتحة وأسرارها أن لها خصائص وصفات خاصة بها، فهي أولاً أعظم سورة في القرآن، وهي ثانياً هي أم القرآن، وهي ثالثاً خير القرآن،

وهي رابعاً أفضل القرآن والدليل عما ذكرناه ما ورد عن النبي ﷺ:

- فعَنْ أَبِي سَعِيد بْنِ المـُعَلَّى رضي الله عنه، قَالَ: «مَرَّ بيَ النَّبيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آته حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟**» فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**» فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِد فَذَكَّرْتُهُ، فَقَالَ: «**الحَمْدُ للَّه رَبِّ العَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

(أخرجه البخاري، كتاب التفسير، بـاب: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم).

والمقصود من قوله: (والقرآن العظيم أنها تحمل مجمل معاني القرآن ومقاصده).

- وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**».

(أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)

- وقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

(أخرجه الترمذي)

- عَنْ ابْنِ جَابِرٍ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَهْرَاقَ الْمَاءَ، فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيّ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي، وَأَنَا خَلْفَهُ، حَتَّى دَخَلَ رَحْلَهُ، وَدَخَلْتُ أَنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَلَسْتُ كَئِيباً حَزِيناً، فَخَرَجَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ تَطَهَّرَ، فَقَالَ: «**عَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ**

وَرَحْمَةُ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَابِرٍ بِخَيْرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: اقْرَأْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى تَخْتِمَهَا».

(أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن جابر، ١٣٩/٢٩)

وفي حديث آخر كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَزَلَ فَمَشَى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى جَانِبِهِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ الْقُرْآنِ؟» قَالَ: «فَتَلا عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»**. (أخرجه البيهقي في شعبه)

خامساً: من نفحات سورة الفاتحة وأسرارها أنها نور بشر به ملك من السماء النبي ﷺ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضاً - أي: صوتاً كصوت صرير الباب إذا فتح- مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ:**

فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيَتَهُ». (أخرجه مسلم)

- إذن فاتحة الكتاب هي أيضاً نور من فضل الله لنبيه ونرجو أن تكون أيضاً لقارئها ليعطى نورها عند قراءتها.

سادساً: قال العلماء في تسميتها السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم كما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أن سورة الفاتحة لخصت وتضمنت معاني القرآن الكريم كلِّه، واشتملت على أصول الدين وفروعه وتناولت العقيدة والعبادة والتشريع، والإيمان بالبعث، وصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة، والدعاء والإرشاد إلى طلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم.

- وكل ذلك يلاحظ عند التعمق في فهم معاني كلمات سورة الفاتحة.

سابعاً: من أسرار هذه السورة ونفحاتها أن العلماء استنبطوا لها أسماء كثيرة، أكثر من ثلاثين اسماً فهي سورة الفاتحة، لفتح ثلاثة أشياء، فاتحة للقرآن الكريم، وفاتحة لمعاني سور القرآن كله، وفاتحة للصلاة.

وقد ذكر القرطبي أن للفاتحة اثني عشر اسماً ومنها: (فاتحة الكتاب- أم الكتاب- أم القرآن- الحمد- السبع المثاني- الصلاة- الشفاء- الشافية- الرُّقية- الكافية- الكنــز).

ثامناً: هي ركن من أركان الصلاة لا تقبل الصلاة إلا بها، وهي تكرر في كل ركعة، وأقلها في الفرائض تكرر سبع عشرة مرة، ومع النوافل تصل إلى أكثر من ثلاثين مرة.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاةً لَمْ يَقْرأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ**» أي غير صالحة.

(أخرجه مسلم)

ولذا قال علماء الدين وعلمـــاء الـــنفس أن وراء تكرارها قوةٌ كامنةٌ وطاقةٌ روحيةٌ تدفع بالمسلم للحياة مع كل مشاغلها بكل ثقة وهمة فهي تبعث في الـــنفس طاقةً روحيةً عميقةً عجيبةً على مدار اليوم والليلة، فيعاود عمله بعد كل صلاة بطاقة روحية جديدة وهمة متجددة، أليس ما يدل على هذا ما أشار إليه قول النبي ﷺ: فقـــد روى سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُـــلٌ: لَيْتَنِـــي

صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْه ذَلكَ، فَقَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**يَا بِلالُ أَقِمِ الصَّلاةَ أَرِحْنَا بِهَا**». (أخرجه أبو داود)

ولو درس اليوم ما يسمى بعلماء الطاقة معاني هذه السورة وأسرارها جملة وتفصيلاً لتوصلوا إلى ما تحمله سورة الفاتحة من هذه القوة والطاقة التي تؤثر في نفس صاحبها وقلبه وصدره وتصرفاته وأخلاقه وسلوكه.

تاسعاً: إن من أسرارها أن جميع المسلمين يحفظونها صغاراً وكباراً، عرباً وغير عرب، متعلمين وأمّيين، وجميع المسلمين يقرؤونها ويرددونها كل يوم مرات عدة في الصلاة وغيرها باللغة العربية كما نزلت على سيدنا محمد ﷺ.

عاشراً: ومن أسرارها أن المسلم كلما تعمق في كلماتها انفتح له من أبواب العلم والفهم الشيء الكثير، وانفتح له من المعاني والأسرار الكثيرة، وسينفتح لنا ذلك أكثر عندما نأتي إلى البحث الثاني في دراسة نفحات وأسرار معاني سورة الفاتحة وكلماتها بالتفصيل.

حادي عشر: من أسرارها أن فيها شفاء للقلوب وشفاء للأجسام قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢)

إذن في القرآن الكريم آيات فيها شفاء ورحمة للمؤمنين الذين آمنوا باليقين بآثارها في الشفاء، وأما غير المتيقن والمقتنع فهو ظالم لنفسه ولا تزيده إلا خساراً.

وفي خصوصيتها في الشفاء ما ورد عن النبي ﷺ:

«**فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ**». (أخرجه الدارمي)

ويؤكد هذا السر في الشفاء في قراءة سورة الفاتحة بصدق وإخلاص ما ورد في الحديث التالي: عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه قَالَ انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَاب النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاء الْعَرَب فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بكُلِّ شيء لاَ يَنْفَعُهُ شَيءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ

سَيِّدَنَا لُدغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بكُلِّ شَيءٍ لاَ يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَد منْكُمْ منْ شيءٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاللَّه إِنِّي لأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّه لَقَد اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضيِّفُونَا، فَمَا أَنَا برَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً. –مكافأة وأجرة- فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ منَ الْغَنَم، فَانْطَلَقَ يَتْفلُ عَلَيْه وَيَقْرَأُ (الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ) فَكَأَنَّمَا نُشطَ مِنْ عقَال -أي زال عنه ما يعانيه وأصبح نشيطاً-، فَانْطَلَقَ يَمْشي وَمَا به قَلَبَةٌ -أي: علة- ، قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذي صَالَحُوهُمْ عَلَيْه، فَقَالَ بَعْضُهُمُ اقْسمُوا. فَقَالَ الَّذي رَقَى لاَ تَفْعَلُوا، حَتَّى نَأْتيَ النَّبيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا. فَقَدمُوا عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ** -دعاء للشفاء- ثُمَّ قَالَ: **قَدْ أَصَبْتُمُ اقْسمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْماً**». فَضَحكَ رَسُولُ اللَّه ﷺ». (أخرجه البخاري)

- وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا دَرَيْتُ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، شَيْءٌ أَلْقَاهُ اللَّهُ في نَفْسِي، قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**كُلُوا وَاضْرِبُوا لِي معكم بسهم**».

(بهذا اللفظ أخرجه ابن حبان كتاب الرقى والتمائم، باب: ذكر الإباحة للمرء أخذ الأجرة المشترطة في البداية على الرقى. أما رواية «ما يدريك أنها رقية» فهي في البخاري ومسلم).

- يقول ابن القيم في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد): «كل داء له دواء، وأنا أحسنت المداواة بالفاتحة فوجدت تأثيراً عجيباً من الشفاء وذلك أني مكثت بمكة مدة يعتريني أدواء لا أجد لها طبيباً ولا مداوياً، فقلت: يا نفسي دعيني أعالج نفسي بالفاتحة ففعلت ورأيت لها تأثيراً عجيباً، وكنت أصف ذلك لمن اشتكى ألماً شديداً، فكان كثيراً منهم يبرؤون سريعاً ببركة الفاتحة. ثم قال وقد يختلف الشفاء لضعف همة الفاعل.

- أحد علماء مصر يسمى الشيخ عبد الحليم المصري انتابه في أحد الأعوام في شهر رمضان آلام شديدة وضعف جسمه، واصفر لونه، وعند مراجعة الأطباء قالوا له: لقد تلف كبدك، والزراعة لا تنفع، وبقي في حياتك شهر واحد.

قال له والده احمد الله يا بني هناك من يخرج من بيته ثم يموت، وأنت معك شهر ويكفيك ذلك لسؤال الله الشفاء.

وأصبح كل يوم يكثر الدعاء بالشفاء مع الإكثار من قراءة سورة الفاتحة وبمشيئة الله وقدرته وإرادته وتقديره، عادت إليه عافيته وراجع أطباءه فلم يصدقوا كيف عاد الكبد إلى أفضل حالاته.

ثاني عشر: من نفحات سورة الفاتحة وأسرارها أن لها خصوصية تميزها عن باقي السور، فهي خطاب وحوار بين العبد وبين رب العالمين.

وأما سائر سور القرآن فإن أسلوب الكلام فيها موجه من الله إلى العباد.

- وفي خصوصية الفاتحة هذه أنها تعليم من الله لعباده كيف يثنون عليه ويتقربون إليه تفضلاً منه سبحانه وتكريماً لهذا الإنسان وإعزازاً.

قال الله في الحديث القدسي: «**قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:**

حَمدَني عَبْدي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وفَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدي فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». (أخرجه مسلم)

ثالث عشر: من أسرارها أن في آياتها معان لا تحصى وأنوار لا تحد قال سيدنا علي ﷺ (والله لو أقبلنا على فاتحة الكتاب لحملت منها سبعين بعيراً).

أي لو تعمقنا في معاني سورة الفاتحة ومقاصدها وأهدافها وأردت كتابة ذلك لحملت منها سبعين بعيراً مما كتبت.

المبحث الثاني

لمحات من معاني سورة الفاتحة وأسرارها

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ
يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

- عدد آيات سورة الفاتحة سبع مع البسملة.

- تتميز سورة الفاتحة بلحن خاص بها، نجد فيه الهدوء واللين أيضاً، وفيها تتناغم السورة كقطعة واحدة في فواصل آياتها التي تنتهي بالياء والنون، أو الياء والميم، والنون والميم حرفان متقاربان مخرجاً.

- وسورة الفاتحة قررت موقف المسلم من ربه عز وجل وهو العرفان الجميل لإحسانه، والمدح لكمال صفاته، والتوجه إليه في جملة (الحمد لله).

والحمد هنا تشمل المدح والشكر والثناء في كلا الحالتين فيما نحب ونكره.

- والفاتحة حوت معاني القرآن العظيم، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال فهي تتناول أصول الدين وفروعه، تتناول العقيدة والعبادة والتشريع، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، وإقرارٌ بالعبادة والاستعانة والدعاء والتوجه إليه جلَّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم ولا الضالين.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

- طلب الله سبحانه وتعالى من كل مؤمن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم قبل أن يقرأ القرآن، إذن فالاستعاذة هي أول التقاء بين المؤمن وبين بداية قراءته للقرآن الكريم، وجه الله إلى ذلك فقال:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل: ٩٨)

- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تعطي قوةً للقارئ فلا يستطيع الشيطان أن ينفذ إليه وهو يقرأ القرآن ليضع في رأسه هواجس تلهيه عن معاني ما يقرأ.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: تعني أستجير بجناب الله وأعتصم به من شر الشيطان العاتي المتمرد، أن يضرني في ديني أو دنياي أو يعدني عن فعل ما أمرت به، وأحتمي بالخالق السميع العليم من الشيطان الرجيم وهمزه ولمزه ووسواسه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله عز وجل.

وقد أجمع العلماء على أن التعوذ ليس آية من القرآن، وفي رأي الجمهور أن الاستعاذة مندوبة في كل قراءة في غير الصلاة، بينما رأى الشافعية والحنابلة أنه يسن التعوذ سراً في أول كل ركعة قبل القراءة.

بسم الله الرحمن الرحيم:

- أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء مستعيناً به جل وعلا في جميع أموري، طالباً منه وحده العون،

فإنه الرب المعبود، ذو الفضل والجود، واسع الرحمة، كثير التفضل والإحسان، الذي وسعت رحمته كل شيء، وعم فضله جميع الأنام.

- وقد افتتح الله بهذه الآية سورة الفاتحة وكل سورة من سور القرآن - ما عدا سورة التوبة- ليرشد المسلمين إلى أن يبدؤوا أعمالهم وأقوالهم ببسم الله الرحمن الرحيم، التماساً لمعونته وتوفيقه.

- **بسم الله:** تبدأ السورة ببسم الله أي أبدأ باسم الله الذي من أسمائه وصفاته أنه الرحمن الرحيم، فأنا أبدأ في الحوار معك يا الله باسمك أنت (الله) وقد جئتك لأنك الرحمن الرحيم الذي ينظر لعباده نظرة الرحمة العامة والخاصة لا نظرة الانتقام منهم على معصيتهم وغفلتهم.

- **بسم الله** مستعيناً بالله ومتبركاً بذكره من أجله سبحانه وتعالى أفعل ما يريده ولأجل إتمام الفعل الذي أريده وقبوله محققاً الهدف الذي أنشده (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي).

- **بسم الله** أبتدئ متبرئاً من أن يكون البدء باسمي بل هو باسمه تعالى.

الله: الله الخالق، الله الرب، الله الإله، الله الواحد الأحد

الله: اسم الله الذي لم يسمّ به غيره تبارك وتعالى.

الله: الاسم الأعظم عند بعض العلماء أمثال أبي حنيفة؛ لأنه يوصف بجميع الصفات.

الله: هو اسم الله الذي أمرنا الله أن نذكره به في كل حال من أحوالنا فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا استجنح الليل، أو قال: جنح الليل، فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً**». (أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه)

الرحمن الرحيم: من الرحمة بالمبالغة فيها والتي لا نهاية لها.

الرحمن: أشد مبالغة من الرحيم، وهي تدل على الرحمة العامة للعباد كلهم بكل أنواع الرحمات.

وقيل هو الرحمن في الدنيا والآخرة.

الرحيم: الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣).

ولئن اتصف مخلوق بالرحمة فلن يتصف أحد بالرحمان.

ووجب عند التسمية أن نقول عبد الرحمن ولا يجوز أن يسمي أحد بالرحمن قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ﴾. (طه: ٩٠)

- **بسم الله الرحمن الرحيم** شعار إيماني حيوي، جعله الله تعالى عنواناً لكتابه، وافتتاحاً لقرآنه وشرع أن يردده المؤمن في ابتداء كل عمل هام يقوم به، يعلن بهذا الذكر استمداده من الله تعالى، وتقربه إليه بالشيء أو الأمر الذي ذكر التسمية عليه، وأنه يفعل هذا الشيء مستعيناً بربه ومن أجله أيضاً وتبركاً بذكره فيقول: (بسم الله الرحمن الرحيم).

- بسم الله الرحمن الرحيم هي سنة لجميع خلقه يتبعونها في كل أمورهم فيبدؤون بها كلماتهم ورسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، ويرددونها في كل أمر يقومون به عند بدئه، عند طعامهم أو شرابهم أو ملبسهم، وعند دخولهم إلى منازلهم أو خروجهم منها، وعند نومهم واستيقاظهم وعند كل عمل يقومون به.

- ورد عن النبي ﷺ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهوَ أَقْطَعُ**»

(أخرجه: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي في كتر العمال)

ملاحظة: (تعددت الروايات بين: أقطع، أبتر، أجذم).

- بسم الله أبتدئ، باسم الله أقرأ، باسم الله أركب، باسم الله أدرس، باسم الله ...

الحمد لله رب العالمين:

- علمنا الباري جل وعلا كيف ينبغي أن نحمده ونقدسه ونثني عليه بما هو أهله فقال (الحمد لله رب العالمين) أي قولوا يا عبادي إذا أردتم شكري وثنائي

(الحمد لله) واشكروني على إحساني وجميلي إليكم، فأنا الله ذو العظمة والمجد والسؤدد المتفرد بالخلق والإيجاد رب الإنس والجن والملائكة ورب السماوات والأرضين.

الحمد لله رب العالمين: أحمد الله الذي هو رب العالمين يربي ويرعى ويعطي ويحسن ويهدي ويرزق ويحسن لكل خلقه، المؤمن منهم وغير المؤمن، فهو رب العالمين دون استثناء.

قال رسول الله ﷺ: «**الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله**».

(أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود)

الحمد لله: تعبير عن انفعالات متعددة هي في مجموعها تحمل العبودية والحب والثناء والشكر والعرفان، تحمل الثناء العاجز عن الشكر لكمال الله وعطائه.

هذه الانفعالات تأتي من النفس وتستقر في القلب ثم تفيض الجوارح على الكون كله.

فالحمد ليست ألفاظاً تردد باللسان، ولكنها ثمرة أولاً على العقل ليعي معنى النعم ثم بعد ذلك تستقر في القلب

فينفعل بها، وتنتقل إلى الجوارح، فيقوم المؤمن الموفق ويصلي لله شاكراً ويهتز جسمه كله وتفيض الدمعة من عينيه وينتقل هذا الانفعال كله إلى من حوله.

الحمد لله: الله هو اسم العلم الدال على الذات الإلهية الجامع لكل الأسماء والصفات، وقد قال العارفون كل أسماء الله للتخلق، إلا اسم الله للتعلّق.

- الله: قال القرطبي: هذا اسم (الله) أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها وهو اسم للموجود الحق، والجامع للصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المتفرد بالوجود الحقيقي لا إله إلا هو سبحانه.

الحمد لله: على ما أعطاني من نعم لا تعد ولا تحصى، وعلى ما حفظني وأهلي من المحن، وعلى صحتي وعافاني من الأمراض وشفاني منها.

الحمد لله: فيما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (سورة لقمان: ٢٠).

وعلى قوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٥٣).

وعلى قوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة النحل: ١٨).

- من منح الله عز وجل وعطائه أن أنطق لسان كل مؤمن بالله عز وجل في كل ما يمر معه فيقول: (الحمد لله).

- مؤمن مريض مرضاً شديداً تسأله عن حاله فيقول لك بكل ثقة: (الحمد لله).

- مؤمن مصاب وممتحن بأشد البلاء تسأله عن حاله فيقول لك بكل ثقة: (الحمد لله).

- مؤمن فقير محتاج لا يملك قوت يومه تسأله عن حاله فيقول لك بكل ثقة: (الحمد لله).

- مؤمن على فراش الموت وفي احتضاره نسأله عن حاله فيقول لك بكل ثقة: (الحمد لله).

الحمد لله: يرددها المسلم في السراء شاكراً حامداً وفي الضراء راضياً صابراً.

- **الحمد لله** رضاً بقضائه، الحمد لله صبراً على بلائه، الحمد لله شكراً على نعمائه.

- **الحمد لله** على نعمة الإيجاد، والحمد لله على نعمة الإمداد، والحمد لله على نعمة الهداية والإرشاد.

- **الحمد لله** على أن الله قبل منا شكره وحمده على نعمائه بهذه العبارة وعلمنا إياها وأمرنا بها، و لم يترك المجال للمؤمن أن يحمده بما يستطيعه من كلام أو تعبير فيثني على الله يحسن الكلام بعبارات يعجز عنها العامي والبسيط فيحزن من تقصيره في حمد الله وقلة إمكانية تعبيره.

الحمد لله: أن دلنا كيف نحمده بهذه الكلمة الميسرة للصغير والكبير والعامي والمتعلم وهي صفة حمد مقبولة من الجميع معبرة عن كل محامدهم.

قال ﷺ مبيناً أهمية الحمد وقيمته: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَان وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأُ الْميزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلآَنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ**

ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

(أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء)

- **الحمد لله** ذكرت في القرآن الكريم في آيات كثيرة تبين أن الحمد الحقيقي هو لله وحده، منها قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(سورة الجاثية: ٣٦)

- ومنها قوله سبحانه مبيناً زمن الحمد ومكانه:

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (سورة الروم: ١٨).

- كما أنه سبحانه أمر الله نبيه سيدنا محمداً ﷺ بحمده تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

(سورة طه: ١٣٠)

- وهو حث لجميع المسلمين في كل زمان ومكان لاتباع قدوتهم سيدنا محمد ﷺ في هذا الحمد المستمر.

- ولقد علمنا رسول الله ﷺ أن نحمد الله في كل ما يمر معنا، وعلمنا الكثير من صيغ الحمد، وبين لنا مكانتها، ومنها قوله ﷺ:

- «**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلا وَقَدْ أَدَّى شُكْرَهَا، فَإِنْ قَالَهَا الثَّانِيَةَ جَدَّدَ اللهُ لَهُ ثَوَابَهَا، فَإِنْ قَالَهَا الثَّالِثَةَ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ**».

(أخرجه البيهقي في شعبه عن جابر)

- وحدث النبي ﷺ: «**أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالا: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالا: يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: «اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا**».

(أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر)

ومعنى عضّلت: اشتدت عليهما وعظمت واستغلق عليهما معناها.

- وعَنْ أَنَس، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ للَّه حَمْدًا كَثيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فيه، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ صَلاَتَهُ قَالَ: «أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بالْكَلمَات؟» فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بهَا؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْساً» فقَالَ رَجُلٌ: جئْتُ وَقَدْ حَفَزَني النَّفَسُ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكاً يَبْتَدرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا» (أخرجه مسلم).

- وعَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَريِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْد قَالَ اللَّهُ لمَلائكَته: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَاده، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدي؟ فَيَقُولُونَ: حَمدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لعَبْدي بَيْتاً في الجَنَّة، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْد» (أخرجه الترمذي).

رب العالمين: أي مربي العالمين فهو سبحانه خالق العوالم، ثم مدبر أمورها كلها بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

المؤمن يردد في أعماقه:

حسب نفسي عزاً بأنني عبد
يَحتفي بي بلا مواعيدَ ربُ
هو في قدسه الأعز ولكن
أنا ألقاه متى وأين أحبُ

رب العالمين: خلقهم بقدرته، وربــاهم برحمتــه، وغذاهم بنعمته.

رب العالمين: الرب اسم من أسماء الله تعالى مختص به، وهو أول وصف لله تعالى، وهذا

الاسم إذا أضيف صار مشتركاً بين الله وعباده فيقال: رب العالمين - رب الدار - رب البيت.

والعالمين: كل موجود سوى الله.

رب العالمين: الذي أوجدنا من العدم وربانا ودبر أمرنا وحفظنا وأرشدنا إليه وهدانا قال تعالى مبيناً ذلك:

﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠).

فحق لنا أن نحمده وأن نشكره وبما أنه رب العالمين نجد فيه اتصاف ترهيب وترغيب مقرونين.

الرحمن الرحيم: إعادة تكرار لصفتين تحملان الرحمة واسمين من أسماء الله الحسنى فهو رب العالمين ومن صفاته الرحمن الرحيم فهما إشعار للمؤمن بطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، والإقبال على الله بكامل السرور.

- قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللَّـــهُ الْخَلْـــقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**».

(أخرجه البخاري، عن أبي هريرة)

- وقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مائَةَ جُزْء، فَأَمْسَكَ عنْدَهُ تسْعَةً وَتسْعينَ جُزْءاً، وَأَنْزَلَ في الأَرْضِ جُزْءًا وَاحدًا، فَمنْ ذَلكَ الْجُزْء يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافرَهَا عَنْ وَلَدهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصيبَهُ**» (أخرجه البخاري).

- وقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مائَةَ رَحْمَة كُلُّ رَحْمَة طبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْض، فَجَعَلَ منْهَا في الأَرْضِ رَحْمَةً، فَبهَا تَعْطفُ الْوَالدَةُ عَلَى وَلَدهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى**

بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ».

(أخرجه مسلم عن سلمان)

مالك يوم الدين: فأنت يا رب رب العالمين، وأنت الرحمن الرحيم، وأنت مالك يوم الدين، كما أنك مالك للدنيا، ومالك للخلق أجمعين، فأنا أؤمن باليوم الآخر وأؤمن بيوم الدين ويوم البعث والنشور يوم القيامة يوم الجزاء والحساب قال تعالى:﴿ **ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا** ﴾.

(سورة الفرقان: ٢٦)

- فأنت الله رب العالمين وأنت الرحمن الرحيم وأنت مالك يوم الدين، فإن ذلك يدعوني لأن أكون عبداً مطيعاً مستقيماً في هذه الدنيا ، حتى إذا ما وقفت بين يديك يوم القيامة كنت في عز لا ذل، وأنا على يقين أن كل من ظلمني في الدنيا فأنت مالك يوم الدين سترد لي حقي وترفع من شأني.

- فإن كان في الدنيا من يدعي القدرة والقوة والملك

والسلطان تكبراً وتجبراً وظلماً، فإن يوم القيامة هو ملك لك وحدك ولا يمكن لأحد أن يدعي الملك فيه.

- **مالك يوم الدين**: فلا يستطيع أحد أن يتدخل ظاهراً أو باطناً في شأنك وإرادتك.

وأنت مالك يوم الدين فأنت الأول والآخر وأنت الآمر والناهي وأنت المحاسب والمجازي.

- **مالك يوم الدين**: أنت خلقت هذا اليوم وأنت الذي حددت زمانه ومكانه، وكل ما يجري فيه.

- **مالك يوم الدين**: يوم لا ظلم فيه وكل إنسان سيدرك العدل الحقيقي الكامل التام فيه، والقصاص والحساب فيه، لا يؤخر الجزاء فيه ولا ينسى.

- **مالك يوم الدين**: فيها توقف العبد لمراجعة نفسه فيما يعمله في حياته، فالمؤمن لا يفعل شيئاً في حياته إلا وفي ضميره وباله مراقبة الله له، وأنه سيحاسبه يوم القيامة، ولكن غير المؤمن يفعل ما يفعله وليس في باله الله ولا يفكر به ولا بحسابه ولا باليوم الآخر ولا يوم الدين.

- **مالك يوم الدين**: أساس من أسس الدين لأن الذي لا يؤمن بالآخرة يفعل ما يشاء دون اهتمام ولا شعور ولا خوف من يوم الدين، ولكن هناك سيعلم معنى يوم الدين ويندم يوم لا ينفع الندم قال سبحانه وتعالى معبراً عن هذه الحالة:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٩- ١٠٠).

- **مالك يوم الدين**: يبين الله لخلقه كمال ملكه وعدله وحكمته وانقطاع أملاك الخلائق حتى أنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار كلهم، وقد أذعنوا لعظمته وخضعوا لعزته ينتظرون مجازاته، ويرجون ثوابه، ويخافون من عقابه.

- **مالك يوم الدين**: هي إثبات لليوم الآخر وإثبات للجزاء والحساب، وأن الإنسان سيحاسب على عمله ويجازى عليه، وفيه ترغيب وترهيب، ترغيب للمؤمن بنيله نعيم الجنة وترهيب للكفار لما سيلاقونه من عذاب

جهنم، فهو وحده مالك يوم الدين قال تعالى:

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

إياك نعبد وإياك نستعين:

جملتان متلازمتان ومترابطتان، يُعْلِمُنا الله عز وجل بهما كيف نخاطبه سبحانه وكيف تكون العلاقة به جل وعلا حتى لا نغفل عن ذلك وقد أمرنا الله عز وجل بتكرارها في كل ركعة من ركعات الصلاة حتى تكون معانيهما في أعماق فكرنا وأرواحنا وقلوبنا لا نغفل عنهما طيلة حياتهما.

الجملة الأولى: إياك نعبد: إقرار العبد أمام خالقه سبحانه أي يا رب إياك نعبد ولا نعبد سواك، أي إياك نطيع، ولأوامرك ننفذ، وعن نواهيك ننتهي، كما وجهنا النبي ﷺ بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

الجملة الثانية: وإياك نستعين: إقرار العبد أمام خالقه أن يا رب خلقتنا ضعفاء ونحتاج إلى المعونة وإلى المساعدة ولا نرجو هذه المعونة والمساعدة إلا منك فإياك نستعين.

إياك نعبد وإياك نستعين: في الجملتين تخصيص كامل بأن العبادة لله، وأن الاستعانة به وحده لا لسواه.

إياك نعبد وإياك نستعين: في الأولى نبرأُ من الشرك، وفي الثانية نبرأُ من الحول والقوة، ثم التفويض الكامل لله عز وجل قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾. (الملك: ٢٩)

- **فالعبادة**: اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

- **والاستعانة**: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

- **وعبادة الله والاستعانة به** هما الوسيلتان للوصول للسعادة في الدنيا والآخرة مع النجاة من جميع الشرور فلا سبيل للنجاة إلا بتحقيق ذلك.

- إن المؤمن الحق هو الذي يرجو أن يرتقي في أشرف منازل الدنيا والآخرة، وهو يعلم أنه لا يستطيع أن يرتقي إلا بعون الله وتوفيقه، لذلك أمره الله عز وجل أن يدعو في كل ركعة من ركعات الصلاة.

إياك نعبد: انتقال من الإيمان بالغيب والإيمان الفعلي للإيمان بالمشاهدة والإحساس والخطاب والحوار.

فبعد أن عبرت أيها المسلم عن الله وعن صفاته وقدرته اقتربت منه وناجيته : (إياك نعبد).

إياك نعبد عقد في قلب المؤمن، لميثاق يعاهد به رب العالمين على أن عبادته موجهة إليه لا لسواه ولا منازع له أبداً وكذلك في الاستعانة به.

إياك نعبد: تفيد الخصوصية، فالعبودية فقط لك، وليس لغيرك مهما علا شأنه.

إياك نعبد: ليس لي رب سواك أعبده وأطيعه، وأطلب منه حاجاتي، وأعتمد عليه، وأتوكل وأتوسل وأتوجه.

إياك نعبد: لك اللهم نخشع ونذل ونستعين، إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك، وإياك نوحد ونخاف ونرجو.

وإياك نستعين: لا يخطر ببالنا ولا يجول في فكرنا الاستعانة بغيرك إنما توجهنا كاملاً إليك.

- **نستعين بك** عند السراء والضَّرَّاء؛ عند السراء شكراً وطمعاً بزيادتك، وعند الضَّرَّاء صبراً وطمعاً في كشف ضرنا.

- **نستعين بك** في كل حوائجنا وفي جميع أمورنا لتقضى.

- **نستعين بك** على نفوسنا الأمّارة بالسوء لتشفى.

- **نستعين بك** عند ضيق نفوسنا، وانعدام آمالنا لتفريج همومنا وكروبنا.

- **نستعين بك** عند تكالب شرّار خلقك وتآمرهم علينا في أن يأتينا عاجلاً عونك وفرجك ونصرك.

وإياك نستعين: لا نستعين إلا بك فالأغيار كلهم ضعفاء، والاستعانة بهم ضعف ولا يؤدي إلى حصول المطلوب، أما أنت الذي تملك كل شيء فالاستعانة بك عز وشرف، وتحقيق للآمال والرغبات والطلبات على أكمل وجه، وأفضل مستوى، وما استعانتي بالآخرين إلا من باب الأسباب التي أمرتنا بها ونحن على علم

يقيني أنك أنت الذي تسبب الأسباب للآخرين ليتحقق ما نريده على أيديهم، فالاستعانة الحقيقية بك وأنـــت تحقق استعانتنا بما تشاء وكيف تشاء.

- لسان حال المؤمن يقول: استعنت بالناس لعلمي ويقيني أنني بالاستعانة بك ستلهم من استعنت به من خلقك العمل على قضاء حوائجي على أيديهم بفضل استعانتي بك، أما من استعان بخلقك دونك فحظه الخسران والندم.

- كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: (لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه) أي لمن استعنت به.

- لذلك قال العارفون: (من ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً).

- ومن كلام بعض السلف: (يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك).

وإياك نستعين: أعني يا رب حتى أستطيع أن أعبدك حق العبادة على كل أمور حياتي لأتفرغ لعبادتك مخلصاً لديني.

المؤمن دائم الترديد وفي أعماقه وصية النبي ﷺ لعبد الله ابن عباس: أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: «**يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَات يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: احْفَظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْه فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّة، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَل اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّه، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدرُوا عَلَيْه، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدرُوا عَلَيْه، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**». (أخرجه أحمد عن عبد الله بن عباس)

- المؤمن يردد دائماً قول النبي ﷺ لجبير رضي الله عنه:

«**أَلا أُعَلِّمُكَ الْكَلِمَات الَّتِي قَالَهُنَّ مُوسَى عَلَيْه السَّلامُ حِينَ انْفَلَقَ الْبَحْرُ؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ**

لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَبِكَ الْمُسْتَغَاثُ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّه» (أخرجه الطبراني).

- والاستعانة بالله عز وجل تجمع أصلين مترابطين:

أولاً: الثقة بالله عز وجل - **وثانياً** الاعتماد عليه.

فالعبد قد يثق بأحد الناس ثم لا يعتمد عليه لاستغنائه عنه، وقد يعتمد على أحد الناس مع عدم ثقته به، لأنه يحتاج إليه في قضاء حاجته ولأنه لا يجد من يقضيها غيره.

أما استعانة العبد بالله عز وجل فهي تقوم على ثقته به وأنه مالك الملك وبيده كل شيء مع اعتماد هذا العبد على الله الذي بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير.

- اللهم إنا نعبدك وحدك ولا نعبد سواك.

- وإنا نستعين بك وحدك فأعنا يا رب العالمين.

- اللهم إنا نستعين بقوتك على ضعفنا ونستعين بعلمك على جهلنا.

- وإنا نستعين بغناك على فقرنا ونستعين بمعجزتك وخرقك للعوائد على تآمر الناس علينا.

- ونسألك أن تغير حالنا إلى أحسن حال.

- وإنا نستعين بتقديرك بأن تقدر لنا خيراً.

- وإنا نستعين بقدرك أن تلطف بنا فيما جرت به المقادير.

- وإنا نستعين بمنّك أن تمن علينا بالأمان وراحة البال.

- وإنا نستعين بكرمك أن تكرمنا في الدنيا والآخرة.

- وإنا نستعين بحنانك أن تحن علينا وبمنك أن تمن علينا برفع البلاء.

- وإنا نستعين برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

والسؤال الذي قد يجول في أذهاننا لماذا جاءت الآية إياك نعبد وإياك نستعين فيها تقديم العبادة على الاستعانة؟

والجواب على ذلك عدة معان أذكر منها ما يلي:

أولاً: من باب تقديم الغايات على الوسائل لأن العبادة غاية العباد التي خلقوا لها. والاستعانة وسيلة إليها.

ثانياً: ولأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة فهو مستعين به ولا ينعكس.

ثالثاً: العبادة طلب لله، والاستعانة طلب منه فيجب تقديم طلب الله بالعبادة عن طلب العبد بالاستعانة.

رابعاً: ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص.

خامساً: ولأن العبادة شكر نعمته عليك، والله يحب أن يشكر، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك، فإن التزمت عبوديته ودخلت تحت رقِّها أعانك عليها.

ومما زادني شرفاً وتيهــاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صَّيرت (أحمَدَ) لي نبيا

اهدنا الصراط المستقيم: هذه الآية هي أفضل دعاء يدعو به المؤمن، وأفرض دعاء يتوجه به المؤمن إلى ربه.

وذلك لأن معترك العقائد والشرائع أخطر ميدان في حق الإنسان، زلق فيه أساطين الفلسفة والخبراء وتفرقت بسببه الإنسانية، وتاهت فيه شعوبٌ وأممٌ.

وكم من إنسان تاه وضل مما يواجهه في هذه الحياة من الامتحانات والمصائب والبلايا والمحن ولا يفهم لها سبباً.

اهدنا الصراط المستقيم: صراطك القويم، صراط الصالحين، صراط الموفقين، صراط المحـــبين المحبـــوبين، صراط المؤمنين الصادقين.

والهداية على نوعين: هداية دلالة، وهداية معونة.

هداية الدلالة: هي للناس جميعاً.

وهداية المعونة: هي للمؤمنين الصادقين فقط المتبعين لمنهج رسول الله سبحانه.

فنحن عندما أسلمنا وصلينا وقرأنا الفاتحة هي هداية دلالة دلنا عليها الله عز وجل فآمنا به.

وأما ما نطلبه في سورة الفاتحة من هداية فهي طلب هداية المعونة، هداية التوفيق، وهي هداية يخص بها الله من يشاء من عباده.

- هداية الدلالة لجميع المخلوقات لما فيه صلاح

وجودها ومصالح عيشها في دنياها. قال تعالى مشيراً إلى هذه الهداية: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾. (طه: ٥٠)

- وهذه الهداية هي هداية بيان ودلالة على كل خير والتحذير من كل شر، وهذه هداية للمكلفين عامة إلى معرفة الخلق من الضلالة. قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان: ٣).

- وأما هداية المعونة والتوفيق فهي مستمدة من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. (الأنعام: ١٦١)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج: ٦٧).

- وهذه الهداية هي المقصودة من قولنا:

(اهدنا الصراط المستقيم) أي: اهدنا بمعونتك وتوفيقك إلى الصراط المستقيم واشرح لنا صدورنا لاتباعه.

- والذي يملك هذه الهداية هو الله دل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦).

- وتحتاج هذه الهداية إلى مجاهدة النفس قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

- وبداية الهداية شرح الصدر للإيمان قال تعالى:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾.

(الأنعام: ١٢٥)

- عند ذلك وجب شكر الله على هذه الهداية.

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ﴾ (الأعراف: ٤٣).

- ودائماً يدعو المؤمن ربه أن يحفظ هدايته له قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

- ويمنع الله الهداية من لا يستحقها قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النحل: ١٠٤).

- وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. (آل عمران: ٨٦)

- وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾. (التوبة: ٢٤)

- وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. (النحل: ١٠٧)

- اللهم فلا تجعلنا من هؤلاء الذين لا يستحقون هدايتك واجعلنا مع من مننت عليهم بهذه الهداية توفيقاً منك وعطاءً ومنةً.

وإلى هذا المعنى يشير النبي ﷺ فقد روى أبو بُردة، عن علي، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ**». (أخرجه مسلم)

(ومعنى اذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم أي: تذكر ذلك في حال دعائك بهذين اللفظين لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدد السهم يحرص على تقويمه ولا يستقيم رميه حتى يقومه وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد عمله وتقويمه ولزومه السنة، وقيل ليتذكر بهذا لفظ السداد والهدى لئلا ينساه).

فنحن عندما أسلمنا وصلينا وقرأنا الفاتحة هي هداية دلالة دلنا الله عليه فآمنا به وأما ما نطلبه من الفاتحة من هداية فهي هداية المعونة والتوفيق، وهي هداية يختص الله بها من يشاء من عباده، هذه الهداية هي:

صراط الذين أنعمت عليهم: فمن هم الذين أنعم الله عليهم؟

اقرأ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء: ٦٩).

وهؤلاء هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

فالهداية إلى الصراط المستقيم تحتاج من المؤمن إلى إطاعة الله والرسول، عندها ينعم الله عليه بهذه الهداية وينضم إلى أولئك الذين أنعم الله عليهم وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء هم أفضل الرفاق والأصحاب في الدنيا والآخرة.

- وقد بين النبي ﷺ لصحابته حقيقة هذا الطريق فعن عبد الله بن مسعود قال: خَطَّ رَسُولُ الله ﷺ، خَطّاً بيَده، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبيلُ الله مُسْتَقيماً**»، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمينه، وَشمَاله، ثُمَّ قَالَ: «**هَذه السُّبُلُ، لَيْسَ منْهَا سَبيلٌ إلا عَلَيْه شَيْطَانٌ يَدْعُو إلَيْه**» ثُمَّ قَرَأَ:

﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ**﴾ (الأنعام: ١٥٣) (أخرجه أحمد).

- وعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا صرَاطاً مُسْتَقيماً، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ،**

وَعَلَى الأَبْوَاب سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَاب الصِّرَاط دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعاً، وَلا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْق الصِّرَاط، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوَاب، قَالَ: وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الإِسْلامُ، وَالسُّورَان: حُدُودُ اللَّه، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّه، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاط: كِتَابُ اللَّه، وَالدَّاعِي مِنِ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّه فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».

(أخرجه أحمد)

غير المغضوب عليهم: هم الذين اختاروا غير طريق الهداية فغضب الله عليهم، وهم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به، والذين بلغهم شرع الله تعالى ودينه فرفضوه و لم يتقبلوه، ومن هؤلاء: الفاسقون، والكافرون، والمشركون، والملحدون.

ولا الضالين: الذين تاهوا وضلوا في البحث عن هدايتك ورضاك، وهم الذين لم يعرفوا الحق ألبتّة، و لم يعرفوه على الوجه الصحيح الذي يقرن العمل به ومن

هؤلاء: المنافقون، والحائرون، والمترددون بين إيمانهم الظاهر وكفرهم الباطن.

- يا رب لا تيسر لنا الطريق الذي نستحق به غضبك ولا أن نضل عنك بل مهّد لنا طريق هدايتك لاتباع صراطك المستقيم الذي نستقيم به مع عبادك الصادقين.

- في كل زمان ومكان هناك من أنعم الله عليهم وهناك من غضب الله عليهم، وهناك من ضل الطريق، وفي كل ذلك امتحان من الله لعباده، فانظر لنفسك إلى الطريق الذي سلكت واسأل الله التوفيق والهداية للصراط المستقيم.

آمين: عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فَقَالَ: آمِينَ، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ». (أخرجه الترمذي)

آمين: بمعنى استجب نختم الفاتحة بها، علمها سيدنا جبريل إلى رسول الله ﷺ بأن يقول بعد قراءة الفاتحة آمين بمعنى استجب يا رب فيما دعوناك بعد قولنا:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

آمين: ليست من سورة الفاتحة ولا من القرآن إنما وردت السنة باستحباها بمعنى اللهم استجب.

ويتأكد قول آمين في حق المصلي سواء كان إماماً أو مأموماً أو منفرداً.

جاء في الأثر أن النبي ﷺ قال: «**قَالَ لَقَّنَنِي جبْريل آمين عنْد فراغي من قِرَاءَة الْفَاتِحَة وَقَالَ إِنَّه كالختم عَلَى الْكتاب**». (أخرجه الزيلعي)

وآمين: هي كالختم على الكتاب بمعنى استجب.

وآمين: لها ثواب كبير بينه النبي ﷺ بقوله: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**». (أخرجه البخاري)

وقوله ﷺ: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ. وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**». (أخرجه البخاري)

ختاماً: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.